المؤتمر العلمي السنوي الرابع والعشرون الموسوم
(مؤتمر كلية التربية الأساسية في مجال العلوم الانسانية والتربوية والنفسية)
والمنعقد تحت شعار
(العلوم الإنسانية أساس لبناء الإنسانية ونهضة الحضارة في التربية والتعليم)
للمدة 13-14 /5/ 2024

اسلوبية التزامن والتعاقب في سورة الزمر دراسة في دلالات التراكيب

أ.د. كمال عبدالرزاق صالح
الجامعة المستنصرية / كلية التربية الأساسية / قسم اللغة العربية
dr.kamall.iq@uomustansiriyah.edu.iq

مستخلص البحث:
يتناول هذا البحث بالدراسة مفهومَي التزامن والتعاقب بوصفهما عنصرين مهمين في ثنائية جدلية في الدراسات اللغوية الحديثة ، يتحددان بتطور اللغة عبر مدة زمنية محددة أو مدة أطول ، فالتزامن يشتغل على اللغة خلال مدة محددة من دون العناية بالتغيرات الزمنية الطارئة على اللغة . أمّا التعاقب فيختص بدراسة اللغة الواحدة على مرور الزمن والنظر في ما يستجد عليها من تغيرات . وهذا التحديد الذي وضعه سوسير ينحو منحى تاريخياً في دراسة اللغة وهذا ما لم نسلكه في هذه الدراسة ، بل نسلط الضوء على الحركة الزمنية في الألفاظ سواء كانت أفعالاً أم غير ذلك من الحروف والأسماء المتضمنة دلالات زمنية ونستقصي كل ذلك وأثره في القرآن الكريم ولاسيما في سورة الزمر ونحلل ملامحها الأسلوبية في النص ، لكونها تشكّل ظاهرة واضحة في سورة الزمر كما سنرى من خلال البحث .

الكلمات المفاتيح : القرآن الكريم - التزامن – التعاقب

مقدمة :

تعددت الدراسات في مجال اللغة وكثرت وتنوعت بشكل مطَّرد منذ أمد بعيد، ويكاد هذا يشمل معظم اللغات إن لم يكن جميعها ، ولعل اللغة العربية لم تكن في منأى عن تلك الدراسات بل نالت من ذلك حصة كبيرة نظراً لسعتها وتعدد أساليبها وشمولها كل مناحي الحياة .

وفي الفكر الغربي برزت اللغة بوصفها ظاهرة اجتماعية وفكرية لذا نالت حظوة كبيرة عند علماء اللغة ولا سيما اللغوي اللساني السويسري فرديناند دي سوسير (1857 م – 1913 م) الذي نشر نظريته اللسانية الشهيرة في علم اللغة العام واضعاً ثنائياته اللسانية التي عرفت بثنائيات دي سوسير :

*اللغة والكلام
* التركيب والاستبدال
* الدال والمدلول
* الرمز والعلامة
* السانكرونية والدياكرونية أو التزامن والتعاقب

وهذه الثنائيات وضع سوسير أسسها وأرسى قواعدها في مطلع القرن العشرين ، وأوضح أن ثمة طريقين لدراسة اللغة هما :

1 – الدياكروني أو التاريخي أو الديناميكي التعاقبي .
2 – السانكروني أو الوصفي أو الآني أو التزامني .

فالدياكروني يهتم بما تتعرض له اللغة من تحول وتغير خلال فترات زمنية متعاقبة ، أما السانكروني فيهتم بدراسة لغة معينة في زمن محدد ، واختار سوسير هذا المنهج لكونه مناسباً لدراسة اللغة دراسة بنيوية ، (ذلك لأنَّ دي سوسير بنى نظريته اللسانية على الطرح العلمي والموضوعي المعتمد على الحجة القوية والمفاهيم الدقيقة ...ولئن كان دي سوسير قد تأثر بالفلسفة الأرسطية إلّا أنَّه صاغ مفاهيم نظريته اللسانية بدقة علمية ووفق منهجية جديدة تسعى لدراسة اللغة دراسة وصفية

علمية لذاتها ومن أجل ذاتها.)(1). وقد تنازع المنهجان الوصفي التزامني والتاريخي التعاقبي الدراسات اللغوية، وقد فرق سوسير بينهما ، فأساس الدايكروني تعدد المدد إذ يتم التعرف على مايصيب اللغة من تطور وتغير من مدة إلى أخرى، أمّا السانكروني التزامني فأساسه وحدة المدة الزمنية وحينئذ يقتصر عمل الدارس على النظر في وحدات التركيب اللغوي للتعرف على العلاقات الداخلية بينها في التركيب المذكور وهنا ينتفي عامل الزمن وتبدو اللغة نظاماً بنيوياً ثابتاً في حيز زمني محدد، أمّا الدياكروني التعاقبي فيدرس اللغة الواحدة عبر الزمن لدراسة التغيرات التي تطرأ عليها وبيان مسببات ذلك التغير في كافة المستويات اللغوية : النحوية والصرفية والصوتية والدلالية والمعجمية ، وتسمى كذلك الزمانية والتاريخية والتطورية ، فهي دراسة تعنى بتاريخ اللغة ،أي (إنها تعنى بالظواهر اللغوية غير المختزنة في الوعي اللساني لهؤلاء المتكلمين أنفسهم ، وهي التي يحتل بعضها مكان بعض دون أن تتحاور بالضرورة في نظام واحد)(2)، وهذا يستدعي أن تهتم التعاقبية بتاريخ الظاهرة اللغوية ومايتابها من تغيرات عبر فترات زمنية متتابعة ، أي إنها على المحور العمودي الذي أطلق عليه سوسير محور المتعاقبات .(3)، ولابد إذن من وجود علاقات زمنية وتاريخية بين المتتابعات لاستكناه تلك التحولات الطارئة من دون إغفال تفسير أسباب تلك التغييرات ، يرى ميشال زكريا (أن كل لغة هي وليدة تطور تاريخي تدخل فيه مؤثرات عديدة ومتباينة ، وتذهب إلى أبعد من ذلك إذ تؤكد أن اللغة لا يمكن تفسيرها كظاهرة اجتماعية إلّا بالعودة إلى تاريخها) (4)، ولكن لابد من الإشارة إلى أن هناك في الجانب الآخر – من حالة التغير – ظاهرة الثبات في اللغة ، وهذه الحالة تبدو جلية إذا تمت دراسة مرحلة محددة من اللغة في زمن محدد متعين ، وهو ما أطلق عليه سوسير الدراسة التزامنية (السانكرونية) ، إذ أنه نقل الدراسات اللسانية من الزمنية إلى التزامنية ليتسنى له تطبيق منهجه الوصفي ، فقد كان المنهج التاريخي المقارن هو الشائع في الدراسات اللغوية في القرن التاسع عشر، إذ عرف رواجاً وتطوراً واضحين لهذه الدراسات التاريخية (5) ، (وتعد ثنائية الدراسة التزامنية(synchronique) والدراسة التعاقبية (diachronique) إحدى أهم الركائز المنهجية التي أسس عليها دي سوسير نظريته اللسانية . وقد فرق بين الدراسة السكونية (الآنية) للغة أي تلك التي تدرس اللغة في لحظة زمنية معينة وفي حالة معينة ، والدراسة التطورية التي تهتم بدراسة التغيرات اللغوية عبر الزمن .وكلمة (synchronique) فيها (sun) التي تعني في اليونانية "مع" و(kron0s) "الزمن" أمّا في كلمة (diachronique) فتعني (dia) من خلال ، أي دراسة من خلال الزمن . وعلى هذا فهما متقابلتان ولذا جعل منهما دي سوسير ثنائية)(6)

التزامن والتعاقب :

في ما تقدَّم تناولنا مفهومَي التزامن والتعاقب في اللسانيات الحديثة ، وقد عمدنا إلى هذا التقديم من باب التأصيل لهذين المصطلحين اللذين لم يسبق توظيفهما بهذا المعنى اللغوي التاريخي كما هو الآن عند دي سوسيرفي الدراسات اللسانية الحديثة .ولذا فـ (إنَّ المستوى التزامني يدرس الصيغ اللغوية من وجهة نظر وصفية ، في حين يدرس المستوى التعاقبي الصيغ اللغوية من وجهة نظر تطورية تاريخية . وقد أثبت ياكوبسون أنه لا يمكننا الفصل بين المستويين التزامني والتعاقبي في الدراسة اللغوية)(7).ولكي يتضح طريق البحث نؤكد هنا أنَّ ابتعادنا عن المنهج التاريخي أكثر جدوى لولوج المنهج التطبيقي على آيات الذكر الحكيم لذا آثرنا دراسة التزامن والتعاقب من باب صلتهما بالزمن النحوي الذي يتمثل بالفعل وصوره الزمنية – الماضي والحال والاستقبال – والظروف الزمانية بمختلف مبانيها ووجوهها الإعرابية .وقد اعتمدت في هذا البحث المنهج الوصفي والتحليلي في دراسة التراكيب اللغوية التي أسهمت في بناء النص القرآني، متجلية في ملامح أسلوبية واضحة

المعالم، من خلال بيان أحوال الجملة وبنياتها التركيبية وأساليبها النحوية في سورة الزمر. واقتصرت بهذا عن دراسة البنى الدلالية والصوتية تجنّباً للإطالة والاتساع في ما لايتناسب وهذا المقام .

المبحث الأول: التزامن

تحيل هذه الكلمة بنفسها إلى أصلها اللغوي، إذ يفصح لفظها عن مرجعيته إلى (الزمن)، وقد أشارت المعاجم العربية القديمة إلى لفظ (زمن) ولكنها خلت من الإشارة إلى لفظ (تَزامُن) ،على الرغم من كونه مصدر الفعل (تَزامَنَ) الخماسي المشتق من لفظ (زمن)، والزمن معروف وهو ما دلَّ على وقت مفتوح أو مدَّة غير محددة، تتحدد بالأفعال ودلالاتها الزمنية في المضيّ والحال والاستقبال ، أو بمساعدة ظروف الزمان المبهم منها والمختص ، وفي لسان العرب : (الزمن والزمان : اسم لقليل الوقت وكثيره) (8) وبناءً على ماتقدَّم ذكره ليس أمامنا سوى الرجوع إلى المعاجم العربية الحديثة لتبيان مفهوم التزامن فيها .

ففي المعجم الوسيط : تزامن الشيئان،اتفقا في الزمن، حدثا في وقت واحد: تزامن وصول الطائرتين، وتزامن الشخصان : تعاصرا، عاشا في زمن واحد ، تزامُن الحدثين : وقوعهما في الوقت نفسه ، والمتزامن في علم الطبيعة ، مايتفق مع غيره في الزمن (9)

ومن خلال استقرائنا لسورة الزمر وجدنا ثمة صوراً شتى للتزامن شكّلت ظاهرة أسلوبية حثّتنا على دراستها واستجلاء أساليبه وصوره في سورة الزمر، منها :

1 – **تزامن الصفات** :كما في قوله تعالى : ((تنزيلُ الكتابِ من الله العزيزِ الحكيمِ))(الزمر :1) .فصفات الله تعالى متزامنة مع بعضها فهو يتصف بها جميعاً وعلى الدوام ، فهو عزيز حكيم ،وهو غفور رحيم ،وهو سميع بصير في كل زمان ومكان .

2 – **تزامن الأخبار :** كما في قوله تعالى : ((إنَّ اللهَ لا يهدي مَنْ هو كاذبٌ كَفّارٌ))(الزمر:3) . وقوله تعالى : ((هو اللهُ الواحدُ القهّارُ))(الزمر:4). وقوله تعالى : ((ألا هو العزيزُ الغفّارُ))(الزمر :5) ، وقوله تعالى : ((إنه هو الغفورُ الرحيمُ))(الزمر : 53)

فهذه الأخبار متصاحبة متلاصقة متزامنة مع بعضها ، والله جلَّ جلاله يتصف بها جميعاً في آنٍ واحد.

3 – **تزامن الأفعال:** كما في قوله تعالى: ((والذين اجتنبوا الطاغوتَ أنْ يعبدوها وأنابوا إلى اللهِ لهم البشرى فبشِّرْ عبادِ))(الزمر:17)، فالفعلان الماضيان:(اجتنبوا – وأنابوا) متزامنان في الحدوث وفاعلهما واحد هو واو الجماعة الدال على اشتراكهم بهذين الفعلين في وقت واحد، ودعم ذلك وجود واو العطف الدالة على المشاركة .

وتحقق التزامن كذلك بين فعلين مضارعين، كما في قوله تعالى : ((اللهُ يتوفّى الأنفسَ حينَ موتِها والتي لم تمت في منامها فيمسكُ التي قضى عليها الموتَ ويرسلُ الأخرى إلى أجلٍ مسمّى إنَّ في ذلك لآياتٍ لقومٍ يتفكَّرون))(الزمر 42) فالفعلان المضارعان (يمسك- يرسل) متزامنان، لأنَّ اللهَ قادر على تحقيقهما في الوقت نفسه، ومثله قوله تعالى : ((أولَم يعلموا أنَّ اللهَ يبسُطُ الرزقَ لِمَنْ يشاءُ ويَقْدِرُ إنَّ في ذلك لآياتٌ لقومٍ يؤمنون))(الزمر:52)، وقد تحقق التزامن بين الفعلين (يبسط – يقدر)، فالفاعل واحد وهو القادر على إنجاز الفعلين في الوقت نفسه ، ودعمت الواو العاطفة هذا التزامن بدلالتها على المشاركة .ونلحظ نوعاً آخر من التزامن الفعلي في قوله تعالى : ((خلقَ السماواتِ والإرضَ بالحقِّ يُكَوِّرُ الليلَ على النهارِ ويُكَوِّرُ النهارَ على الليلِ وسخَّرَ الشمسَ والقمرَ كلٌّ يجري لأجَلٍ مُسَمّى ألا هوَ العزيزُ الغفّارُ))(الزمر:5) . فالفعل (يكوِّرُ) تكرَّر مرَّتين، والفاعل واحد ولكنْ لمفعولين مختلفين :(الليل - النهار)، فثمَّة حدث يتكرر تزامنيّاً، ومثله تسخير الشمس والقمر وجريانهما في آنٍ واحد

والفاعل واحد هو الله جلَّ جلاله وهو القادر على تدبير كل ذلك في الزمن نفسه من دون حدوث اضطراب ولا خلل .والملاحظ هنا أنَّ فعلي التكوير مضارعان متعاطفان متزامنان ، أمّا فعلا الخلق والتسخير فماضيان متعاطفان ولكنهما غير متزامنين ، لأنَّ الخلق سبق التسخير ، فهما متعاقبان لذا قدَّم الله ذكر الخلق ثم ذكر التسخير، أمّا فعلا التكوير (يكوّر- ويكوّر) المضارعان فقد دلّا بوضوح على دوام الحركة واستمرارها، وكذا الفعل (يجري) ، فحركة الأجرام السماوية متزامنة مع بعضها، مستمرة إلى ما شاء الله لها ذلك (لأجلٍ مسمّى) .ودلَّ تنكير (كلٌّ) وتنوينه -تنوين عوض عن مفرد وتقدير المضاف المفرد المحذوف (كلُّ جرمٍ يجري لأجلٍ مسَمّى)– على التزامن بين حركاتها .

4 – **تزامن الفعل والحال :** من ذلك قوله تعالى : ((إنّا أنزلنا إليك الكتابَ بالحقِّ فاعبدِ اللهَ مخلصاً له الدينَ))(الزمر :2)، وقوله تعالى: ((قُلْ إنّي أُمرتُ أنْ أعبدَ اللهَ مخلصاً له الدينَ))(الزمر:11)، وقوله تعالى : ((قُلِ اللهَ أعبدُ مخلصاً له ديني))(الزمر:14) .

تزامن ذكر الإخلاص مع العبادة في هذه الآيات الكريمة وتكرر في سياقات متناسقة ، فجاء الأمر من الله لنبيِّه الكريم أولاً:

- فاعبدِ اللهَ مخلصاً له الدينَ .

بفعل الأمر الإلهي المباشر (اعبدْ) ، ثم أمرَه بالإقرار بذلك الأمر الطلبي الإلهي :

- قُلْ إنّي أُمِرْتُ أنْ أعبدَ اللهَ مخلصاً له الدينَ .

ثم جاء الأمر الطلبي الإلهي المباشر لنبيّه الكريم (صلى الله عليه وسلم) بالإقرار والتسليم والتخصيص:

- قُلِ اللهَ أعبدُ مخلصاً له ديني.

وقد تحقق التخصيص من طريقين :

الأول : بتقديم المفعول به – لفظ الجلالة – (الله) على الفعل والفاعل (أعبُدُ) :

اللهَ ---- أعبدُ

المفعول به -الفعل –القاعل

اللهَ – أعبُدُ - أنا

فالله جلَّ جلاله هو وحده من دون غيره مخصّص بالعبادة بلا شريك ولامنازع، لذا خُصَّ بتقديمه في الكلام على الفعل(أعْبُدُ) المضارع الدال على الاستمرار، والفاعل (أنا) الضمير الواجب الاستتار، وهو ضمير المتكلم على لسان سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام .

ومثله قوله تعالى : ((بلِ اللهَ فاعبُدْ وكُنْ من الشاكرين))(الزمر : 66)،ودعم هذا المعنى قوله تعالى : ((ألا للهِ الدينُ الخالصُ))(الزمر:3).قال الزمخشري :(هو الذي وجب اختصاصه بأن يخلص له الطاعة من كل شائبة كدر، لاطلاعه على الغيوب والأسرار، وأنه الحقيق بذلك، لخلوص نعمته عن استجرار المنفعة بها)(10)

الثاني : باقتران الدين بالياء (ديني)بوساطة الإضافة إلى ياء المتكلم .

ولعل المتدبر في هذه الآيات يلحظ تأثير تقديم لفظ الجلالة على الفعل مما جعل الإخلاص المتمثل بالحال (مخلصاً) متصلاً بالعبادة المتمثلة بالفعل (أعبدُ) ملتصقاً بها أعظم التصاق:

- قُلِ + اللهَ +أعبدُ مخلصاً + له ديني

وحقق الجار والمجرور – شبه الجملة - (له) صورة أخرى من صور تخصيص العبادة والإخلاص لله تعالى بوساطة ضمير الغائب (الهاء) الظاهر المتصل العائد على رب العزة جلَّ جلاله ، ونلاحظ هنا أنَّ الله المعبود ظاهر في فعل العبادة :

- فاعبدِ اللهَ ..
- أمرتُ أنْ أعبدَ اللهَ
- قلِ اللهَ أعبدُ

فقد ظهر المعبود واستتر ضمير العابد:
فَاعْبُدْ –أعْبُدَ - أعْبُدُ
أنت – أنا – أنا
فهذه الضمائر جميعها واجبة الاستتار، حتى في فعل القول الطلبي (قُلْ) فقد استتر الفاعل :
قُلْ - أنتَ
مع كون هذه الضمائر تخصُّ نبينا الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم)، ولعلَّ المراد تخصيص رب العزة بالذكر بتقديم لفظ الجلالة وظهوره وحده المعبود واستتار العابد أمام عظمة الله المخصوص بالعبادة والإخلاص بها، جَلَّ شأنه وتعالى عمّا يشركون .
وإذا عدنا إلى الآيات الكريمة الثلاث المذكورة نلحظ أنَّ المعبود تمَّ ذكره بضمير الغائب (الهاء) في موضع الإخلاص:

- مخلصاً لهُ

ولعلَّ في هذا بيان أنَّ العبادة بتفاصيلها وطقوسها وحركاتها تكون في معظمها ظاهرة للعيان ، أمّا الإخلاص فهو أمر غيبي قلبي بين العباد وربهم جلَّ جلاله .
ومن أمثلة تزامن الفعل والحال قوله تعالى : ((وسِيقَ الذين كفروا إلى جهنمَ زُمَرا ...))(الزمر: 71) وقوله تعالى : ((وسِيقَ الذين اتَّقوا ربَّهم إلى الجنَّةِ زُمَرا ...))(الزمر : 73) ، فقد تزامن حدوث فعل السَّوْق مع حال كونهم زمراً ، أي : جماعات قليلة .

5 – **ظروف الزمان :**

هي ألفاظ تدل على الزمان ، منها ما هو مبهم ومنها ما هو مختص ، منها مثلا

- (حين) : هو ظرف زمان يتحدد معناه بحسب سياق الكلام ، وقد ورد في قوله تعالى : ((أو تقولَ حين ترى العذابَ لو أنَّ لي كرَّةً فأكونَ من المحسنين))(الزمر : 58) ، وهو هنا يربط بين فعلين متزامنين (تقول – ترى)، أمّا في قوله تعالى : ((اللهُ يَتَوَفّى الأنفُسَ حين موتِها ...))(الزمر : 42)، فقد أضيف الظرف إلى المصدر (موتها) ، بمعنى إنَّ الظرف ربط بين الفعلين المضارعين (يَتَوَفّى - تموت (موتها) المتزامنين .
- (إذْ) وهو ظرف زمان للماضي في أصل وضعه (11) ، بمعنى (حين) إذا تلاها فعل ماضٍ، كما في قوله تعالى : ((فمَنْ أظلمُ مِمَّنْ كذَبَ على اللهِ وكذَّبَ بالصدقِ إذْ جاءهُ أليس في جهنَّمَ مثوىً للكافرين))(الزمر : 32)، فـ (إذْ) ظرف زمان مبني على السكون في محل نصب وهو مضاف ، والجملة الفعلية (جاءهُ) في محل جر بالإضافة . فالتكذيب متزامن مع حدث المجيء ، فقد وقعت بين الفعلين (كذَّبَ – جاءَهُ) وهما فعلان ماضيان تحقق تزامنهما.

6– **واو الجماعة المتصلة بالفعل المضارع في الأفعال الخمسة** ، مثل (لِيُقَرِّبونا – يختلفون – تصرفون – تكفروا – تشكروا – تعملون – يعلمون –يعبدوها –يستمعون – يتبعون –يخشون – تكسبون – يشعرون - تختصمون _ يشاءون- يخوفونك ..الخ) في مواضع متعددة من سورة الزمر، وهذه الواو تدل على الاشتراك في هذه الأفعال في حالة تزامنية اشترك فيها كل من شملته هذه الواو . ومثله مجيئها مع الفعل الماضي، مثل (اتخذوا – آمنوا – أحسنوا – خسروا - اجتنبوا – أنابوا - اتَّقوا

– كانوا – عملوا .... الخ) في آيات من سورة الزمر ، ومجيئها كذلك مع فعل الأمر : (اتَّقوا – أعبدوا –ذوقوا – إعملوا ...الخ) في مواضع مختلفة من سورة الزمر .

7– **ألف الاثنين** : وهي من ضمائر الرفع وتدل على اثنين أو اثنتين اشتركا في الفعل ، وتتصل بالفعل الماضي والمضارع والأمر ،من ذلك مثلاً قوله تعالى: ((ضرب اللهُ مثلاً رجلاً فيه شركاءُ متشاكسون ورجلاً سَلَماً لرجلٍ هل يستويان مَثَلاً الحمدُ للهِ بل أكثرُهم لا يعلمون))(الزمر:29).

8- **إذا الفجائية** : من ذلك قوله تعالى : ((ونُفِخَ في الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ في السماواتِ والأرضِ إلّا مَنْ شاءَ اللهُ ثُمَّ نُفِخَ فيه أخرى فإذا هم قيامٌ ينظرون))(الزمر:68) ، والتزامن واضح في الفجاءة بعد النفخة الثانية ، وتحقق ذلك بالجملة الاسمية (هم قيام ينظرون).ومثله قوله تعالى ((وإذا ذُكِرَ اللهُ وحدَهُ اشمَأزَّتْ قلوبُ الذين لا يؤمنون بالآخرة وإذا ذُكِرَ الذين من دونِهِ إذا هم يستبشرون))(الزمر:45). وقد حققت (إذا) الفجائية عنصر التزامن بطبيعتها التركيبية والجملة الاسمية (هم يستبشرون) التي تلتها.

9- **الواو العاطفة** ، وهي لمطلق الجمع(12) كما في قوله تعا لى: ((وأشرقَتِ الأرضُ بنورِ ربِّها ووُضِعَ الكتابُ وجيءَ بالنبيين والشهداءِ وقُضِيَ بينهم بالحقِّ وهم لا يُظلَمون * ووُفِّيَتْ كلُّ نفسٍ ما عَمِلتْ وهو أعلم بما يفعلون))(الزمر:69-70) . فقد جمعت الواو هذه التفاصيل في رسم مشهد يوم الحساب .وهي أمور تزامنت مع بعضها .

المبحث الثاني: التعاقب

تعاقَبَ، على وزن تفاعَلَ، فعل خماسي يدل على مجيء شيء بعد شيء زمنيّاً ،مصدره تعاقُب، واسم الفاعل منه مُتعاقِب، واسم المفعول منه متعاقَب فيه ، و(تعاقب الليل والنهار جاء أحدهما بعد الأخر ،تعاقبت الإنتصارات تتابعت ،تلاحقت توالت ، تعاقبت الفصول تتابعت بانتظام ، المتعاقبان : الليل والنهار، على تعاقب العصور: على مر العصور، تعاقبوا في الحراسة تناوبوها وتداولوها، تعاقبوا في الخدمة : بالتعاقب بالتناوب، واحداً بعد الآخر(13)، وقد تنوَّعت طرق التعاقب الزماني في كتاب الله ، من ذلك ما لاحظناه في سورة الزمر موضوع الدراسة.ومن هذه الطرق :

1 – **العطف :** ويفيد حرفا العطف (الفاء) و(ثُمَّ) التعقيب .

- الفاء : و(تفيد الترتيب والتعقيب ... وأمّا التعقيب فمعناه أنَّ وقوع المعطوف بعد المعطوف عليه بغير مهلة أوبمدة قريبة)(14) .من ذلك قوله تعالى : ((أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ أَنزَلَ من السماءِ ماءً فَسَلَكَهُ ينابيعَ في الأرض ...))(الزمر : 21) ، فسلوك الماء في الأرض يعقب إنزال المطر . ونحو قوله تعالى : ((كَذَّبَ الذين من قبلهم فأتاهم العذابُ من حيثُ لا يشعرون * فأذاقَهُمُ اللهُ الخزيَ في الحياةِ الدنيا ولَعذابُ الآخرةِ أكبرُ لو كانوا يعلمون))(الزمر : 24 -25) . وأمثلتها كثيرة في سورة الزمر ، ولكن لا تدل في جميعها على التعقيب .
- ثُمَّ : هو (حرف عطف يفيد الترتيب والتراخي ، ومعنى التراخي المهلة (15) .ولمّا كان معنى التعقيب وقوع المعطوف بعد المعطوف عليه بغير مهلة أو بمدة قريبة (16) ، فيمكن أن نقول إنَّ التراخي هو تعقيب بمدة طويلة بين المتعاطفين ، ونلمس ذلك بوضوح في قوله تعالى : ((ألَمْ تَرَ أنَّ اللهَ أنزَلَ من السماءِ ماءً فَسَلَكَهُ ينابيعَ في الأرض ثُمَّ يُخرِجُ بهِ زرعاً مختلفاً ألوانُهُ ثُمَّ يهيجُ فتراهُ مُصفَرّاً ثُمَّ يجعلُهُ حُطاماً إنَّ في ذلك لذكرى لأولي الألباب))(الزمر :21)،

فقد جمع بين (الفاء) و(ثُمَّ) في هذه الآية للتعبير عن التعقيب بفاصل زمني قصير بـ(الفاء) ، بعد ذلك جيء بـ (ثُمَّ) حينما استدعى المعنى مدة أطول للدلالة على تعاقب الأحداث .ومثله قوله تعالى : ((ونُفِخَ في الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ في السماواتِ والأرض إلّا مَنْ شاءَ اللهُ ثُمَّ نُفِخَ فيه أخرى فإذا هم قيامٌ

ينظرون))(الزمر : 68) ، فالصعق يحدث في عقب النفخة الأولى ، وجاءت النفخة الأخرى بعد الأولى بمدة ، وتزامن القيام مع النفخة الثانية بوجود (إذا) الفجائية.

2 – **الشرط :** ومعناه أن يقع الشيء لوقوع غيره ،أي أن يتوقف الثاني على الأول (17) ،وبهذا يدل الشرط على التعقيب لمجيء جواب الشرط في عقب فعل الشرط . ومن أدوات الشرط التي لاحظناها في سورة الزمر:

- **(إذا)الشرطية الظرفية** ، وهي ظرف لما يستقبل من الزمان خافض لشرطه منصوب بجوابه مبني على السكون في محل نصب ، وهي شرطية غير جازمة ، ومثالها قوله تعالى ((وسيقَ الذين كفروا إلى جهنمَ زُمَرا حتى إذا جاءوها فُتِحَتْ أبوابُها ...))(الزمر : 71)، فقد أفاد الشرط معنى التعقيب بين جملة الشرط (جاءوها) وجملة جواب الشرط (فُتِحَتْ)، وفي قوله تعالى :((وسيقَ الذين اتَّقوا ربَّهم إلى الجنَّةِ زُمَرا حتّى إذا جاءوها وفُتِحَتْ أبوابُها وقال لهم خزَنَتُها سلامٌ عليكم طبتم فادخلوها خالدين))(الزمر : 73) ، نجد هنا تعاقباً بين جملة الشرط (جاءوها) وجملة جواب الشرط المحذوف وتقديره (اطمأنّوا أو سعدوا) ، وتزامن الحال (خالدين) مع الفعل (فادخلوها) .ومثله قوله تعالى : ((وإذا مَسَّ الإنسانَ ضُرٌّ دعا ربَّهُ منيباً إليه ثُمَّ إذا خَوَّلَهُ نعمةً منهُ نسِيَ ما كان يدعو إليه من قبلُ ...))(الزمر : 8) ،ففي هذه الآية تكررت (إذا) مرتين ،وفي كل واحدةمنهما شرط وجواب ، ففي المرة الأولى حدث التعاقب بمجيء جواب الشرط (دعا رَبَّهُ) في عقب الشرط (مَسَّ) ، وتزامن الحال (مُنيباً) مع الفعل (دعا) .و في المرة الثانيةحدث التعاقب بمجيء جواب الشرط (نَسِيَ) بعد الشرط(خَوَّلَهُ).

ومثله قوله تعالى : ((فإذا مَسَّ الإنسانَ ضُرٌّ دعانا ثُمَّ إذا خَوَّلْناهُ نعمةً مِنّا قال إنَّما أُوتيتُهُ على علمٍ بل هي فتنةٌ ولكنَّ أكثرَهم لا يعلمون))(الزمر:49) ، فجاء جواب الشرط (دعانا) في عقب فعل الشرط (مَسَّ) ، وثمَّة فرق واضح بين الآيتين :(8 و 49) :

آية - الشرط - الجواب
8 – أ- مّسَّ - دعا ربه
ب - خَوَّلَهُ - نَسِيَ
49- أ - مَسَّ - دعانا
ب - خَوَّلْناه - قال

ففي كل آية منهما شرطان وجوابان ، فجواب 8أ :(دعا ربَّهُ) ، وجواب 49أ : (دعانا) ،وهو أشد قرباً. والشرط في 8ب : (خَوَّلَهُ) والشرط في 49ب : (خَوَّلْناهُ)، وهو أشد قرباً.

وهنا كان نكران الإنسان : (قال إنَّما أوتيتُهُ على علمٍ) ، وهو أشدّ من جواب الشرط : (نَسِيَ ما كان يدعو إليه)

- **(إنْ) الشرطية :** كما في قوله تعالى: ((إنْ تكفروا فإنَّ اللهَ غنيٌّ عنكم ولا يرضى لعباده الكفرَ وإنْ تشكروا يَرضَهُ لكم ...))(الزمر:7) ، فقد جاء جواب الشرط – الجملة الاسمية – (فإنَّ اللهَ غنيٌّ عنكم) ، بعد فعل الشرط (تكفروا) ،وجاء جواب الشرط (يَرْضَه) في عقب فعل الشرط (تشكروا) .ونلحظ ثمّة فرقاً بين الشرطين الواردين في سياق الآية الكريمة ، فالجملة الاسمية (فإنَّ اللهَ غنيٌّ عنكم) تحمل دلالة الثبوت والدوام ، فالله تعالى دائم الاستغناء عن عباده سواءً شكروا أم كفروا ، وشكر العباد وكفرهم أمر يتسم بالتغير ، ومع جملة الجواب (الاسمية) جاءت جملة (ولا يرضى لعباده الكفر) معطوفة بالواو الدالة على المصاحبة ، فهو تعالى لا يرضى الكفر لعباده على الدوام وفي كل الأحوال .أمّا في قوله تعالى : ((قُلْ إنّي أخافُ إنْ عَصَيْتُ رَبّي عذابَ يومٍ عظيم))(الزمر:13) ،فثمَّة

جواب شرط محذوف دلَّ عليه ما قبله ، أي : تقدير الكلام : إن عصيت ربي فإني أخاف عذاب يوم عظيم ، وبذا يتحقق التعاقب ، إذ يعقب جواب الشرط المحذوف جملة الشرط المذكورة في الآية الكريمة . ومن أمثلة الشرط في سورة الزمر قوله تعالى : ((وَلَئِنْ سألتَهم مَنْ خلقَ السماواتِ والأرضَ ليقولُنَّ اللهُ ...))(الزمر:38) ، فقد اجتمع الشرط والقسم ، ولمّا كان القسم هو المتقدم كان الجواب له ولا يغني هذا عن جواب الشرط ، وبهذا تكون (ليقولُنَّ) جملة جواب القسم ، وجواب الشرط محذوف وتقديره دلَّ عليه جواب القسم ، وهي التي تعقب جملة الشرط في السياق . وفي سياق الآية نفسها قوله تعالى : ((إنْ أرادنيَ اللهُ بضُرٍّ هل هُنَّ كاشفاتُ ضُرِّهِ)) ، وعطف عليها قوله : ((أو أرادني برحمةٍ هل هُنَّ ممسكاتُ رحمتِهِ...)) ، وجواب الشرط محذوف سبقه ما دلَّ عليه ، وتقدير الكلام: إن أرادني الله بضرٍّ أخبروني هل ما تدعون من دونه هنَّ كاشفات ضرِّه ،والجملة المعطوفة عليها تحمل الحكم نفسه . ومن اجتماع الشرط والقسم قوله تعالى : ((ولقد أوحِيَ إليك وإلى الذين من قبلك لَئِنْ أشركتَ لَيَحْبَطَنَّ عملُكَ ولتكونَنَّ من الخاسرين))(الزمر : 65)

- **(مَنْ) الشرطية الجازمة :**

نحو قوله تعالى : ((أليسَ اللهُ بكافٍ عبدَهُ ويُخَوِّفونكَ بالذين مِنْ دونهِ ومَنْ يُضْلِلِ اللهُ فما لهُ من هادٍ * ومَنْ يَهْدِ اللهُ فما لهُ من مُضِلٍّ أليسَ اللهُ بعزيزٍ ذي انتقامٍ))(الزمر : 36-37).

فقد تعاقب شرطان وجوابان إذ تكررت (مَنْ) في تتابع سياقي بليغ :

- مَنْ يُضْلِلِ –فماله من هادٍ
- مَنْ يَهْدِ ---فماله من مُضِلٍّ

فجواب الشرط (فماله من هادٍ) ورد في عقب فعل الشرط(يضلل)، وجواب الشرط (فما له من مضل) جاء عقب فعل الشرط(يهدِ)، وجاء فعلا الشرط في الآيتين مضارعين مجزومين ، وجوابا الشرطين فيهما جملتين اسميتين.ونحو ذلك قوله تعالى : ((إنّا أنزلنا عليك الكتابَ للناسِ بالحقِّ فمَنِ اهتدى فلِنفسِهِ ومن ضَلَّ فإنَّما يَضِلُّ عليها وما أنت عليهم بوكيلٍ)
)(الزمر : 41). إذ تكررت (مَنْ) الشرطية مرتين وتكررمعها فعل الشرط والجواب :

مَنِ اهتدى ---فلنفسِهِ

مَنْ ضَلَّ---فإنَّما يَضِلُّ عليها

ففي الآيتين السابقتين(36-37) جاء فعلا الشرط مضارعين وفاعلهما الله جلَّ جلاله ، وفي الآية (41) جاء فعلا الشرط ماضيين وفاعلهما ضمير مستتر يعود على الإنسان ، وفي جميع هذه المواضع جاء الجواب جملة اسمية :

- فما له من هاد
- فما له من مضل
- فلنفسه
- فإنَّما يضلُّ عليها

ولا شكَّ في إنَّ لأسلوب القصر (فإنَّما) أثراً جَلِيّاً في جعل المعنى أكثر قوة ،لأنَّ ضلال الإنسان بإرادته وإصراره وعمل يده : (ومَنْ ضَلَّ) .

- **(لو) : الشرطية غير الجازمة**

(وتسمى حرف امتناع لامتناع، ومعناه امتناع وقوع الجزاء لامتناع الشرط)(18). نحو قوله تعالى : ((لو أراد اللهُ أنْ يتَّخذَ ولداً لاصطفى ممّا يخلق ما يشاءُ سبحانه هو اللهُ الواحدُ القهّارُ))(الزمر:4) ، فقد

امتنع جواب الشرط (اصطفى – المقترن باللام)لامتناع الشرط(أراد)، ونحو قوله تعالى : ((فأذاقهم اللهُ الخزيَ في الحياة الدنيا ولعَذابُ الآخرةِ أكبرُ لو كانوا يعلمون))(الزمر:26)
فجواب الشرط محذوف دلَّ عليه ما قبله ، وتقديره (فعذاب الآخرة أكبر).
ونحو قوله تعالى : ((ولو أنَّ للذين ظلموا ما في الأرض جميعاً ومثله معه لافتدَوا به من سوء العذاب يوم القيامة وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون))(الزمر:47) ،وهنا تفيد (لو) معنى التمني مع الشرط . ومثله قوله تعالى : ((أو تقولَ لو أنَّ اللهَ هداني لكنتُ من المتقين * أو تقولَ حينَ ترى العذابَ لو أنَّ لي كَرَّةً فأكونَ من المحسنين))(الزمر:57-58) .فقد أفادت التمني وهو من معانيها (19)

3 – قبل – بعد :

وأطلق عليها النحويون (الغايات) ، وهي : قبل ، بعد ، فوق، تحت ، أمام ، وراء ، خلف ، أسفل ، دون ،وغيرها (20) وتأتي معربة ومبنية ، مضافة ومقطوعة عن الإضافة ، من أمثلتها قوله تعالى : ((خلقكم من نفسٍ واحدة ثُمَّ جعل منها زوجها وأنزلَ لكم من الأنعام ثمانية أزواجٍ يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقاً من بعدِ خلقٍ في ظلماتٍ ثلاث ذلكم اللهُ ربُّكم لا إله إلّا هو لهُ الملكُ لا إله إلّا هو فأنّى تُصرَفون))(الزمر : 6) ، فقد أفاد الظرف المعرب المجرور(من بعد) معنى التعقيب، في تعدّد حالات الخلق وأطواره (خلقاً من بعدِ خلقٍ).وممّا يتضمَّن معنى التعقيب استعمال الظرف (قبل) كما في قوله تعالى : ((وأنيبوا إلى ربِّكم وأسلموا لهُ من قبلِ أنْ يأتيَكم العذابُ ثُمَّ لا تُنصَرون * واتَّبعوا أحسَن ما أُنزلَ إليكم من ربِّكم من قبلِ أنْ يأتيَكم العذابُ بَغتَةً وأنتم لا تشعرون))(الزمر : 54-55) ، فالإنابة إلى الله والإسلام له يمنع العذاب الذي يأتي في أعقاب كفرهم وإعراضهم .

4 – **حروف الاستقبال :** إذ يفيد الحرفان (السين وسوف)معنى التعقيب ، من ذلك قوله تعالى : ((فأصابَهم سيئاتُ ما كسبوا والذين ظلموا من هؤلاءِ سيصيبُهم سيئاتُ ما كسبوا وما هم بمعجزين))(الزمر:51) ، ومثل قوله تعالى: ((قُلْ ياقومِ اعملوا على مكانتكم إنّي عاملٌ فسوف تعلمون))(الزمر : 39) .

الخاتمة :

تعرفنا من خلال هذا البحث على مفهومَي التزامن والتعاقب بوصفهما مفهومين حديثين لم يسبق للعرب التعامل بهما ، بل ظهرا أول الأمر في الدراسات اللسانية الحديثة في ثنائيات العالم السويسري فرديناند دي سوسير الذي وضع نظريته اللسانية في كتابه علم اللغة العام ، إذ ميَّز بينهما بكون التزامن يعني دراسة اللغة في مدة زمنية محدودة في حين انَّ التعاقب يعنى بدراستها في فترات متعاقبة لمعرفة ما طرأ عليها من تغير وتطور ،وقد أشرنا إلى ذلك من باب تأصيل المصطلح ، ثمَّ أتينا على دراسة مفهومَي التزامن والتعاقب في الاستعمال النحوي وتطبيق ذلك على آيات في سورة الزمر ، فوجدنا أنفسنا أمام ظاهرة أسلوبية إذ برزت ملامح المفهومين بشكل واضح في آيات الذكر الحكيم ، ومثّلنا لذلك بشواهد كثيرة من سورة الزمر التي اقتصرنا عليها لكونها موضوع الدراسة ، وتجلّى ذلك في تنوّع أساليب البنى التركيبية وتعدّد صياغات الجمل التي ابتعدت عن التكرار واتسمت بالحرص على البيان والتبيين بتشكّلات أسلوبية مبهرة بدقّتها التعبيرية ومتانة بنائها وتراكيبها المحكمة ، وهذا ما بيّناه في متن هذا البحث . نسأل الله القبول والسداد إنَّه سميع مجيب .

هوامش البحث

1- ينظر: جدلية الثنائية في اللسانيات الحديثة ،بركاهم بلفضل ، رسالة ماجستير، جامعة ابن خلدون – تيارت ،2006-2007 ، ص65.

2- ينظر: وفاء محمد كامل ، البنيوية في اللسانيات ، مجلة عالم الفكر ،المجلد 26 ، العدد 2 ، 1997 ، ص227.وينظر جدلية الثنائية في اللسانيات الحديثة ، ص98.
3- ينظر : جدلية الثنائية في اللسانيات الحديثة ، ص98 .
4- ميشال زكريا :الألسنية (علم اللغة الحديث) المبادئ والأعلام ،المؤسسة الجامعية للدراسات والنشروالتوزيع ،بيروت ، لبنان ، ط2 ،1983 ، ص106 .
5- ينظر ، جدلية الثنائية في اللسانيات الحديثة ، ص94 .
6- المصدر نفسه ، ص 94 .
7- حسن ناظم: مفاهيم الشعرية، دار التنوير للطباعة والنشر، ط3، 2017 ،ص91 .وينظر، فرديناند دي سوسير :علم اللغة العام ،ترجمة : يوئيل يوسف عزيز ، بغداد ، دار آفاق عربية ، 1985.
8- ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، مادة : زمن .
9- ينظر : المعجم الوسيط ،مجمع اللغة العربية في القاهرة ، ط5 ، 2011.
10- جار الله الزمخشري :الكشاف ، 112/4 وما بعدها.
11- ينظر ، الدكتور فاضل صالح السامرائي : معاني النحو ،دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، ط1 ،2007. 177/2.
12- ينظر : المصدر نفسه ،187/3.
13-ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة ،أحمد مختار عبد الحميد عمر ،بمساعدة فريق عمل ،عالم الكتب ، ط1 ، 2008 ،1524/2 .
14- معاني النحو : 201/3.
15-المصدر نفسه : 206/3.
16-المصدر نفسه : 201/3.
17-المصدر نفسه : 45/4.
18- المصدر نفسه : 76/4.
19- المصدر نفسه : 76/4.
20- المصدر نفسه : 118/3.

مصادر البحث

القرآن الكريم
1.ابن منظور : لسان العرب ، دار صادر ، بيروت ، ط3 ، 1414 هـ .
2.أحمد مختار عبد الحميد عمر بمساعدة فريق عمل :معجم اللغة العربية المعاصرة ،عالم الكتب ، ط1 ،2008 .
3.بركاهم بلفضل : جدلية الثنائية في اللسانيات الحديثة ،رسالة ماجستير، جامعة ابن خلدون ، تيارت ، كلية العلوم الألسنية والاجتماعية ، قسم اللغات والآداب ،2006-2007 .
4.جار الله الزمخشري : تفسير الكشاف ، تحقيق: عبد الرزاق المهدي ،دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، 1996 .
5.حسن ناظم :مفاهيم الشعرية ،دار التنوير للطباعة والنشر ،ط3 ، 2017.
6.فاضل صالح السامرائي :معاني النحو ،دار إحياء التراث العربي ، بيروت ،لبنان ، ط1 ، 2007 .
7.فرديناند دي سوسير : علم اللغة العام ، ترجمة : يوئيل يوسف عزيز ، بغداد ، دار آفاق عربية ، 1985.

8.مجمع اللغة العربية في القاهرة : المعجم الوسيط ،ط5 ، 2011 .
9.ميشال زكريا : الألسنية ،(علم اللغة الحديث) المبادئ والأعلام ،المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ،بيروت ، لبنان ، ط2 ، 1403 هـ - 1983م.
10. وفاء محمد كامل : البنيوية في اللسانيات ،مجلة عالم الفكر ،المجلد 26 ، العدد 2 ، 1997.

Stylistics of Synchrony and Diachrony
In Surat Al-Zumar
A study in the connotations of compositions

Prof. Kamal Abd Al-Razzaq Saleh
University of Mustansiryah / college of basic education
Department of Arabic language
dr.kamall.iq@uomustansiriyah.edu.iq

Abstract:

This research examines the concepts of synchrony and diachrony as two important elements in a dialectical duality in modern linguistic studies. Synchrony focuses on language within a specific period without considering temporary changes that occur in the language. Diachrony, on the other hand, studies a single language over time and examines the changes that occur in it. Saussure's categorization tends towards a historical approach to the study of language, which we do not follow in this study. Instead, we shed light on the temporal movement within words, whether verbs or other lexical items containing temporal connotations. We investigate all of this and its impact on the Holy Quran, particularly in Surah Al-Zumar, analyzing its stylistic features in the text, as it constitutes a clear phenomenon in Surah Al-Zumar, as we will see through the research.

Keywords: Holy Quran - synchrony - diachrony